

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[75] أيديهم ولعنوا بما قالوا ...) ثم لكي يبطل هذه العقيدة الفاسدة يقول سبحانه وتعالى (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ...) فلا إجبار في عمل القرآن كما أنه ليس محكوماً بالجبر الطبيعي ولا الجبر التاريخي، بل أن إرادته فوق كل شيء وتعمل في كل شيء. والملفت للنظر هنا أن اليهود ذكروا اليد بصيغة المفرد كما جاء في الآية موضوع البحث، لكن القرآن تعالى من خلال رده عليهم قد ثنى كلمة اليد فقال: (بل يداه مبسوطتان) وهذا بالإضافة إلى كونه تأكيداً للموضوع، هو كناية لطيفة تطهر عظمة جود القرآن وعفوه، وذلك لأن الكرماء جداً يهبون ما يشاؤون للغير بيدين مبسوطتين، أضف إلى ذلك أن ذكر اليدين كناية عن القدرة الكاملة، أو ربما يكون إشارة إلى النعم المادية والمعنوية، أو الدنيوية والأخروية. ثم تشير الآية إلى أن آيات القرآن التي تفضح أقوال ومعتقدات هؤلاء تجعلهم يوغلون أكثر في صلفهم وعنادهم ويتمادون في طغيانهم وكفرهم بدلا من تأثيرها الإيجابي في ردعهم عن السير في نهجهم الخاطيء حيث تقول الآية الكريمة: (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ...). بعد ذلك تؤكد الآية على أن صلف هؤلاء وطغيانهم وكفرهم سيجر عليهم الوبال، فينالهم من آيات عذاب شديد في هذه الدنيا، من خلال تفشي العداء والحقد فيما بينهم حتى يوم القيامة، فتقول الآية الكريمة: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ...). وقد اختلف المفسرون في معنى عبارة (العداوة والبغضاء) الواردة في هذه الآية، لكننا لو تغاضينا عن الوضع الإستثنائي غير الدائم الذي يتمتع به اليهود في الوقت الحاضر، ونظرنا إلى تاريخ حياتهم المقترن بالتشتت والتشرد، لثبت لدينا أن هناك عامل واحد لهذا الوضع التاريخي الخاص لهؤلاء، وهو انعدام الإتحاد والإخلاق فيما بينهم على الصعيد العالمي، فلو كان هؤلاء يتمتعون بالوحدة